شارات الملك والوظائف في دولة بني الزيان
" بني عبد الواد " دراسة تحليلية
(٦٣٣ – ٧٩٦هـ / ١٢٣٦ – ١٣٩٣م)

أ. د. محمد احمد العيساوي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية

أ. د. عابد براك الأنصاري
جامعة سامراء – كلية الآثار

أ.م. د. وفاء عبد الجبار عمران
جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد

Abstract

This study was characterized by the emblems of the king and the posts in the state of Bani al-Zayyan "Bani Abd al-Wad" scientific and political analysis of what this country occupied from the status of a leading pioneer among the countries that followed the rule of the Islamic Maghreb in general and the Middle East in particular, and their affiliation with the "Zayani State" to Bani Abdel-Wad, A branch of the second class of Zanate, one of the largest and most famous tribes of the Barbary in the Maghreb. Its rulers played a major role in organizing the affairs of the state and the government in (2346-1319). Its rulers focused on the royal functions which did not oblige the Sultan to carry out his orders. Disabled Al-Yam State.

This study was divided into three topics, preceded by a study, the study, the conclusions reached, and the list of margins and sources.

In the first topic, the origin and origins of the state of Bani al-Zayyan were discussed for more than a century and a half and the identification of the most prominent kings (sultans) Bani al-Zayyan.

In the second section, the study took the badges of the king, the Sultan and the regimes of the state of Bani al-Zayyan and the development and prosperity of the state.

The third topic, which included internal and external policy and the borders and the collapse of this state.

In this study, I have relied on a number of sources, mothers and references that are important in enriching this research.

المقدمة ونطاق البحث:

قال تعالى: ﴿... **إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ (١).

أما بعد:

اتسمت هذه الدراسة شارات الملك والوظائف في دولة بني الزيان "بني عبد الواد" بالتحليل العلمي والسياسي لما احتلته هذه الدولة من مركز رائد مرموق بين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الاسلامي عامة والمغرب الاوسط خاصة، وانتسابهم "الدولة الزيانية" الى بني عبد الواد، وهم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناته احد اكبر واشهر القبائل البربرية ببلاد المغرب وتميز حكامها في دور كبير في تنظيم امور الدولة والحكم في البلاد والفترة تناولت القرن والنصف من (٦٣٣- ٧٩٦هـ/ ١٢٣٦- ١٣٩٣م)، وكان تركيز حكامها على الوظائف السلطانية التي لا غنى للسلطان عنها لتنفيذ اوامره واستعمالها وظيفة للاتصال وتحديد المسؤولية وتوزيعها مع اقاليم الدولة.

نطاق البحث:

قسمت هذه الدراسة الى ثلاثة مباحث سبقتهم مقدمة ثم في نهاية الدراسة الاستنتاجات التي توصلنا اليها وهوامش البحث ومصادره.

ففي المبحث الأول: تناولنا نشأت واصول دولة بني الزيان ما يزيد على قرن ونصف، والتعرف على ابرز ملوك (سلاطين) بني الزيان.

اما في المبحث الثاني: اخذت الدراسة شارات الملك والسلطان وانظمة الحكم في دولة بني الزيان وتطور وازدهار الدولة.

وتضمن المبحث الثالث: السياسة الداخلية والخارجية وحدود دولة بني الزيان والأسباب التي ادت الى تدهور وانهيار هذه الدولة.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع ذات الأهمية في اثراء هذا البحث، واسأل الله السداد في القول والعمل. وأن يوفقنا للصواب في هذه الدراسة، والحمد لله على الإتمام، وأفضل الصلاة على سيدنا محمد واله وصحبه وأطيب السلام. ونسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبناه خالصا لوجهه الكريم، بمنه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا وأهلينا، وخصوصاً أخينا أبو علي "**ساجد**" فك الله أسره، ولسائر المسلمين أجمعين.

المبحث الأول
نشأت واصول دولة بني الزيان
(٦٣٣- ٧٩٦هـ/ ١٢٣٦- ١٣٩٣م)

اولاً- الأصل والتسمية ونسبهم:

تنسب الدولة الزيانية الى بني عبد الواد [٢]، وهم احد فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناته احدى اكبر واشهر القبائل البربرية ببلاد المغرب [٣]، واما اصل تسمية بني زيان فهو عائد الى جدهم زياد والد يغمراس بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسن بن طاع الله بن يميل بن القاسم، وينحدر بنو عبد الواحد من القاسم، وهم من ولد سجيج بن واسين بن مسرى بن زكيا، وتظم هذه الطبقة عدة بطون اقواها بنو مرين وهم الأكثر عدداً ويليهم بنو عبد الواد في المرتبة الثانية من حيث المكانة والعدد، ثم بنو توجين [٤].

ويرجع اصل الزيانين وهم بنو عبد الواد الى القبائل العرقية ذات الأصول الامازيقية التي بسطت نفوذها في الجزائر [٥]، وهذه الطبقة التي انحدرت منها الدولة من سلاسة زناته هم عدد من بطون القبائل من بينهم بنو مصوجة، بنو للو، بنو ياتكتن، وتميز جدهم عبد الواد من بين امراء القبائل الرحل التي تنتقل في الصحراء الكبرى طلباً للماء والكلاء والمراعي، وتمركزوا في ضواحي الجزائر ابان قيام دولة الموحدين وقوتها وكذلك اخذوا بالاستقرار على سواحل المغرب الاوسط وفرضوا انفسهم بالقوة على اهالي هذه البلاد واصبحوا فيما بعد سادة المغرب الأوسط[٦]، وبزعامة بطلهم التاريخي المسمى يغمراس الذي سيأتي تناوله لاحقاً في مفردات هذه الدراسة والذي بفضله استطاع ان يرسخ اقدام دولته ويدعم استقلالها، فقد كان بنو حفص اسبق في اعلان الاستقلال عن الموحدين، وكانوا يطمعون في ان يكون بنو زيان وبنو مرين تابعين لهم، وعلى هذا كان بنو زيان بين قوتين، قوة المرينيين وقوة الحفصيين، وكلا الطرفين يحلم بالسلطة على الشمال الأفريقي بأكمله [٧].

ثانياً- تأسيس وقيام الدولة (دولة بني الزيان):

توسع نفوذ بنو الزيان بغلبتهم على المغرب الأوسط وبالفترة التي كانوا ولاة على الجزائر من قبل الموحدين [٨]، مما دفع بنو الزيان "بنو عبد الواد" من ارتياد منطقة الأوراس، ويذكر انهم شاركوا في جيش عقبة بن نافع الفهري [٩] في حملته عام (٦٢هـ/ ٦٨٢م) على اراضي الأوراس واقليم الزاب، وهذا يدل على انهم اعتنقوا الاسلام في وقت مبكر [١٠]، وقد استغرق بنو الزيان وقتاً

وجهداً لتثبيت سلطانهم، واضطروا الى الاشتباك مع المغرب الأقصى تونس في آن واحد دفاعاً عن وجودهم وممتلكاتهم الفنية [١١].

واما في عهد المرابطين فقد انظم بنو عبد الواد الى جيش يوسف بن تاشفين [١٢] في معركة الزلاقة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) او "معركة سهل الزلاقة" [١٣]، التي تعتبر اول معركة كبيرة شهدتها شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا) في العصور الوسطى، واحد ابرز المعارك الكبرى في التاريخ الاسلامي، استطاع فيها امير المسلمين يوسف بن تاشفين قائد المرابطين يسانده جيش اندلسي بقيادة المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية الحاق الهزيمة الكبرى بجيش قشتالة المسيحي بقيادة الفونسو السادس ملك قشتالة وليون [١٤]، وقد وقعت المعركة بعد تردي احوال الاندلس، والتي ادت الى خضوع ملوك الطوائف لسلطة الفونسو السادس ودفع الجزية له، وانتهت هذه الحالة بسقوط طليطلة في يد الفونسو وجيشه عام (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، اي قبل عام واحد من معركة الزلاقة، وعلى اثر ذلك قام اهل الاندلس وامراؤهم بإرسال سفارات ورسائل للأمير يوسف بن تاشفين تستنجده [١٥]، وتطلب منه الغوث والنصرة فاستجاب لهم وعبر البحر بجيش المرابطين لنصرة مسلمي الاندلس، وتوحيد جيش الاندلس مع جيش المرابطين في جيش كبير يقوده ابن تاشفين، وسار الجيش حتى وصل سهل الزلاقة، وسار اليه الفونسو السادس بجيش من حشد كبير من ارجاء اوربا ودارت بين الجيشين معركة كبيرة، انتهت بانتصار المسلمين انتصاراً عظيماً، وهزيمة الجيش القشتالي [١٦].

وبعد استيلاء الموحدين على المغرب الأوسط اعلن بنو الزيان "بنو عبد الواد" الطاعة والولاء لهم، فاقطعهم الموحدون بلاد يلومي وامانوا من ضواحي المغرب الاوسط، وبذلك ضمن بنو عبد الواحد لأنفسهم الاستقرار في المغرب الاوسط بعدما اصبحوا اولياء وانصار للموحدين[١٧]، وكان ذلك الاستقرار نتيجة تمكن بنو عبد الواد من القضاء على ابراهيم بن اسماعيل بن علات الصنهاجي شيخ اللمتونيين في تلمسان الذي تمرد على سلطة الموحدين في حينه املاً في احياء دولة المرابطين [١٨]، ومن ثم عهد الموحدين بولاية تلمسان وقيام الدولة الزيانية وتولى هذه المهمة يغمراسن بن زيان الذي تولى رئاسة بني عبد الواد بعد مقتل اخيه ابي عزة زيدان [١٩]، وقد استطاع يغمراسن بن زيان بعد ان تولى الآمر فقضى على القبائل المناوئة من بني مطهر وبني راشد، وجمع كلمتهم فتوطد امره، وبذلك يعد يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية العبد الوادية واول ملوكها [٢٠].

وقد اصبحت العوامل والمؤشرات جاهزة لمساعدة يغمراسن على الاستقلال ببلاد المغرب الاوسط دون حاجته للموحدين وكان ابرز تلك العوامل والمؤشرات تتمثل في:

١- الشخصية القوية التي تتمثل في مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان كانت سبباً مؤشراً في قيام الدولة الزيانية.
٢- ضعف دولة الموحدين كان مساعد لقيام دولة بني الزيان.
٣- كان اختيار مدينة تلمسان عاصمة للدولة الزيانية لوجودهم لفترة طويلة من الزمن فيها وقوية شوكتهم بين القبائل كان دافع مهم في قيام الدولة الزيانية.
٤- تعاون القبائل العربية والبربرية مع الامير يغمراسن بن زيان ايضاً كان من المؤشرات والعوامل الدافعة لقيام الدولة الزيانية.

وقد وصف ابن خلدون مؤسس هذه الاسرة بقوله: " كان يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد من أشدّ هذا الحيّ بأسا، وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله، وأقواهم كاهلاً على حمل الملك واضطلاعاً بالتدبير والرئاسة، شهدت له بذلك آثاره قبل الملك وبعده. وكان مرموقا بعين التجلّة مؤمّلا للأمر عند المشيخة وتعظمه من أمره عند الخاصّة، ويفزع إليه في نوائبها العامّة"[٢١]، وهذا ما دفع لازدياد دولة بني الزيان القوة والمهابة وذاع صيتها ومكانتها بين دول المغرب الاسلامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

ثالثاً- ابرز ملوك دولة بني الزيان:

كان من اشهر ملوكهم وفق الآتي [٢٢]:

١- بعد انفصال الأمير يغمراسن بن زيان العبد الواد عن دولة الموحدين عام (٦٣٣هـ-١٢٣٥م)، وتعد هذه الفترة بداية قيام دولة بني الزيان واتخاذ مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية في عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بن المأمون الذي كتب له بالعهد على ولاية المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان، وتولي الامير الآمر يعتبر بداية ملكه، الذي دام ما يقارب خمسون عام للفترة من (٦٣٣- ٦٨١هـ/ ١٢٣٥م- ١٢٨٢م).
٢- الأمير عثمان (الأول) بن يغمراسن بن زيان تولى الحكم عام (٦٨١- ٧٠٣هـ/ ١٣٠٧- ١٣١٨م).
٣- الامير محمد (الأول) بن عثمان بن يغمراسن تولى الحكم عام (٧٠٣- ٧٠٧هـ/ ١٣٠٣- ١٣٠٧م).
٤- الأمير موسى (الأول) بن عثمان بن يغمراسن تولى الحكم عام (٧٠٧- ٧١٨هـ/ ١٣٠٧- ١٣١٨م).

٥- الأمير عبد الرحمن (الأول) بن موسى بن عثمان بن يغمراسن تولى الحكم عام (٧١٨-٧٤٩هـ/ ١٣١٨- ١٣٤٨م).

٦- ابو سعيد عثمان (الثاني) بن عبد الرحمن (الأول) بن موسى بن عثمان بن يغمراسن تولى الحكم (٧٤٩- ٧٥٣هـ/ ١٣٤٨- ١٣٥٢م).

٧- ابو ثابت الزعيم بن عثمان (الثاني) بن عبد الرحمن (الأول) بن موسى بن عثمان بن يغمراسن تولى الحكم عام (٧٥٣- ٧٨٨هـ/ ١٣٥٢- ١٣٧٦م).

٨- ابو تاشفين عبد الرحمن (الثاني) بن عثمان (الثاني) بن عبد الرحمن (الأول) بن موسى بن عثمان بن يغمراسن تولى الحكم عام (٧٨٨- ٧٩٦هـ/ ١٣٧٦- ١٣٩٣م).

٩- ابو زيان محمد (الثاني) بن عبد الرحمن (الثاني) بن عثمان (الثاني) بن عبد الرحمن (الأول) بن موسى بن عثمان بن يغمراسن تولى الحكم عام (٧٩٦هـ- ١٣٩٣م) وفي السنة نفسها كانت نهاية دولة بني الزيان.

المبحث الثاني

شارات الملك والسلطان وانظمة الحكم في دولة بني الزيان

اولاً- نظام الحكم في دولة بني الزيان:

١- طبيعة نظام الحكم في دولة بني الزيان كان وراثياً مطلقاً، ويلقب ملكها بالأمير "امير المؤمنين"، وفي اغلب الأحيان يتولى العرش الأمير بعهد من سابقه، ويجمع كل السلطان بيده ومنزلة الحاجب اقرب المنازل اليه[٢٣]، وعلى عادة العرب تكنّوا بالكنى، واخذوا لأنفسهم البيعة، واتخذوا شارات الملك والسلطان[٢٤]، وتأتي منزلة الوزير والقضاة وصاحب الشرطة والمحتسب وقادة الحاميات وشيوخ القبائل تباعاً بعد منزلة الحاجب[٢٥]، ادى انفصال دولة بني الزيان عن دولة الموحدين الى جمع حكام هذه الدولة ومؤسسها يغمراسن بن زيان بين السلطات، ولأنهم اسسوا دولتهم على قوتهم وعصبيتهم[٢٦]، واضاف ابي حمو موسى (الثاني) العامل الديني كمصدر يستمد منه سلطته، لماله من تأثير على الرعية ومن قوة تمكنه من جمع الناس تحت سلطته، ومما يدل على ذلك ما روّج له ابي حمو من اخبار تنبؤ بظهوره، والترويج لفكرة انتسابه الى البيت النبوي الشريف [٢٧].

٢- اهم الوظائف السلطانية في دولة بني الزيان:

قسمت الدولة الى ثلاث شعب رئيسية، وهي:

السلطة العسكرية ويرأسها صاحب السيف، والسلطة الادارية يتولاها صاحب القلم، والسلطة القضائية ويتولاها قاضي القضاة، ويمكن اعتبار كل من هؤلاء في رتبة الوزير بمعناه في عصرنا الحاضر، والى جانب هؤلاء صاحب المال، وصاحب الأشغال ويرأس كل من هؤلاء من يسمى بمزوال بمعنى "رئيس الوزراء"، فهو يشرف على كل هؤلاء، واليه يرجعون في مهام الأمور، وفي كل مدينة كان يوجد الحافظ (الوالي) والى جواره القاضي والمحتسب وصاحب الشرطة وغيرهم[٢٨]، فكانت استعانة السلطان بالآخرين لتسيير شؤون دولة، والنظر في امور رعيته لثقل امر السلطان وتوسع مهامه اعتمد على توزيع المهام كي يتمكن من متابعة مهام السلطان التي لا تعدوا اربعة كما ذكرها ابن خلدون وتتمثل في[٢٩]:

أ- حماية الرعية، التي تتطلب النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر امور الحماية، وهذه يتولاها الوزير.

ب- مخاطبة من بعد عنه في المكان او في الزمان، وتنفيذه الأوامر فيمن هو محجوب عنه، وهذه المهام يتولاها الكاتب.

ج- جباية المال وانفاقه، وضبطه من جميع الأوجه، وان يكون تحت امضاءه، وهذه يتولاها صاحب المال والجباية.

د- يتولى الحاجب مدافعة الناس عنه ان يزدحموا عليه ويشغلون عن فهمه وعلمه في امور السلطان.

وقد وضعت الشروط الواجب توفرها في عموم المهام ومتوليها ولا بد ان يكون ذا خبرة وكفاءة في الشؤون الادارية والمالية والعلم والثقة والتفقّه في الدين، فضلاً عن الحزم والشدة والنجدة وامتثال الأوامر واليقظة وحسن التصرف والتدبير ومحبة السلطان [٣٠].

ومن المهام الاساسية قيادة الجيش، اضافة الى امور اخرى حددها السلطان ابي حمو في قوله لابنه وولي عهده: "واول من يدخل عليك كاتبك ووزيرك، اذ بهما صلاحك وتدبيرك، وذلك اهم ما تبتدئ به امرك، لتلقي الى الكاتب ما اردت من سرك، ويعرض عليك الكتب الواردة من اقطارك وامصارك، وذلك بمحضر وزيرك المخصوص برأيك وتدبيرك، ليجمع معك على الرأي والتدبير، والجليل من اخبارك والحقير، وهذه مهمة الوزير التي يتولاها في قيادة الجيش فضلاً عن المهام الاخرى الملقاة على الوزير من قبل السلطان، والوزير اذا كان على ما وصفناه بالصفة التي ذكرت، فلا ينبغي ان تخفي عنه شيء من امرك بل تشاركه في حلولك وامرك، وقلقك وكثرك" [٣١].

ثانياً- شارات الملك والسلطان في دولة بني الزيان:

تميّز الملك والسلطان في دولة بني الزيان بالشارات وهذه الشارات هي ما يختص به السلطان عن الرعية والبطانة وسائر قادة الدولة فقد اتخذ السلاطين شارات تميزوا بها دون سواهم[٣٢]، وهي:

١- الآلة:

يعرف ابن خلدون، الآلة بقوله: "فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات، وقرع الطبول، والنفخ في الأبواق والقرون"، وقد شاع استعمال الرايات والأبواق على عهد الدولتين العباسية والفاطمية[٣٣]، اما في المغرب الاسلامي والاندلس فقد سار المرابطون على نهج العباسيين والفاطميين، فإتخذوا رايات من الحرير متعددة الألوان موشاة بالذهب، وسمحوا لولاتهم باستعمالها، ولما تولى الموحدون امر بلاد المغرب حضروا الآلة من الطبول على السلطان وحضروها على من سواه من عماله وجعلوا لها موكباً يسمى (الساقة)، وكذلك فعل بنو عبد الواد[٣٤].

٢- السرير:

هو كرسي العرش الذي يجلس عليه السلطان ليكون مرتفعاً عن اهل مجلسه ليتميز عنهم، وقد استعمل سلاطين دولة بني الزيان الكرسي للجلوس عليه على الرغم من مسحه البداوة التي تميزت بها دولتهم في بداية نشأتها، وهذا يدل على مظاهر الترف خاصة في عهد ابي حمو موسى (الثاني) وذكر ابن خلدون، ان يغمراسن بن زيان يقول: وهو اول من خلط زي البداوة بأبهة الملك، فأعلى المنار، ومهد الخلافة، واوثر الأريكة [٣٥].

٣- السكة:

وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صور وكلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار او الدرهم فتخرج النقوش عليها ظاهرة مستقيمة [٣٦]، وكانت دار السكة من اهم مؤسسات الدولة التي كان لها تأثير هام في حياة المجتمع [٣٧]، وتختلف النقود في الحجم والوزن والشكل [٣٨]، وكانت دولة بني الزيان لها عمله خاصة بها، وضرب عليها اسم سلاطينها وشعاراتهم [٣٩].

٤- الخاتم:

وهو من الخطط السلطانية والوظائف الملكية [٤٠]، وقد اتخذه السلاطين لختم رسائلهم والصكوك الصادرة عنهم، فيكون علامة هذه الرسائل والصكوك عن غيرها، ففي دولة بني الزيان يعد الختام في الأصبع احد العلامات المميزة للسلطان والشارات الخاصة به، وصنع من الذهب وترصيعه بالنصوص من الياقوت والفيروز والزمرد، ومن الشارات السلطانية الأخرى (الطراز) وهي علامات مطرزة بإسم الملك او السلطان في الدولة، ومقصورة الصلاة الذي يشيد حولها سياج لحماية السلطان من اي اعتداء اثناء الصلاة [٤١].

ثالثاً- تطور وازدهار دولة بني الزيان:

تطورت دولة بني الزيان في نظامها الاداري والاقتصادي طيلة فترة ثلاثة قرون من حكم بني الزيان "عبد الواد" في المغرب الأوسط، فكان النظام الاداري يتألف من السلطان والوزير والكتاب والحاجب وصاحب الاشغال واعتماد الادارة المركزية في نظام الدواوين والادارة المحلية، في توزيع الصلاحيات على امراء المدن والاقاليم والامصار، فضلاً عن النظام القضائي والعسكري كلها عوامل اساسية دفعت باتجاه نمو وازدهار ادارة الدولة الزيانية وقوتها واتباع طرق علمية في عهدهم[٤٢]، مثل: امتزاج المياه الجوفية واقامة السدود وحفر القنوات والجداول للري[٤٣].

كما اهتم سلاطين بني الزيان بالصيد لا سيما صيد المرجان، وكذلك العناية في المجال الصناعي باستخراج المعادن، كالحديد قرب عنابه والفضة وغيرها من المعادن الاخرى التي ساعدت على تطوير الصناعات الجزائرية خاصة، وتوفير الايدي العاملة الماهرة، ومن بين اهم الصناعات المنتشرة صناعة النسيج والسجاد على اختلافه، اما في المجال التجاري فقد عقد الزيانيون عدة اتفاقيات تجارية مع الدول الاجنبية في اوربا وجنوب الصحراء الكبرى وتأسست مجموعة تجارية حرة ونظمت تجارتها تحت حماية الدولة الزيانية، وحصل تخصص بالتجارة بعضها التجارة الخارجية والاخرى الداخلية، فضلاً عن الاهتمام بالنشاط الزراعي [٤٤].

المبحث الثالث

السياسة الداخلية والخارجية وحدود دولة بني الزيانية

اولاً- حدود دولة بني الزيان:

سبق ان ذكرنا ان دولة بني الزيان كانت بين قوتين، المرينيين والحفصيين وكلاهما يحلم بالسلطة على الشمال الافريقي، لذلك استغرق بنو الزيان وقتاً وجهداً لتثبيت سلطانهم، واضطروا الى الاشتباك مع المغرب الاقصى وتونس في انٍ واحد دفاعاً عن مملكتهم الفتية [٤٥]، وكان يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية يتميز بصفات وخصال اهّلته للقيام بدور كبير خاصة ضد قبائل بني توجين ومغراوة حيث تمكن لإخضاعهم وضمهم الى سلطته، وتمكن ايضاً من القضاء على الأخطار التي كانت تهدد كيان دولته من جهة الشرق والغرب وبدأ بتوسيع حدود الدولة على حساب اقاليم الدولة الموحدية والقاء سلطتهم على تلمسان واستقل بها عاصمة لدولته، وكذلك نازع بنو مطهر وبنو راشد وهزمهم، وصار الحد الفاصل بينه وبين دولة بني مرين بالمغرب الأقصى وادي ملوية، كما امتد نفوذه الى مدينة وجدة وتواريت واقليم فجيج في الجنوب الغربي [٤٦].

ثانياً- السياسة الداخلية في دولة بني الزيان:

استغل ابو يحيى يغمراسن بن زيان بالحكم وتمكن من وضع قواعد سياسة الدولة الزيانية القوية في عهده ثم خلفاءه من بعده فاصبحت تلمسان مركزاً لنشر الثقافة ومركزاً تجارياً هاماً، فقام الأمير يغمراسن احسن قيام واحسن السيرة في الرعية واستعمال عشيرته وقومه واحلافهم بحسن السياسة وكرم الجوار واحسن السيرة في الرعية وفي العشيرة التي ينتمي اليها، ورتب الجند والثغور واستخدم عساكر من الروم واعطى الرواتب واتخذ الوزراء والكتاب وانهى العمل تحت سلطان الموحدين ولم يعد يخطب لخلفائهم بمراكش وجعل نفسه ملكاً [٤٧]، واسس لنظام حكم وراثي مطلق ويلقب بأمر المؤمنين، وكانت تلمسان هي العاصمة لمركز دولة بني الزيان وهي كلمة مركبة من (تلم وسان) اي لها شان، ويأتي معناها الصحراء والتل، اسسوا بها المسجد الكبير [٤٨].

ثالثاً- السياسة الخارجية في دولة بني الزيان:

حاول الزيانيون توطيد العلاقات الدبلوماسية مع الدولة الحفصية في بادئ الأمر وعقد مصاهرة بين العائلتين الحاكمتين، توثيقاً لروابط الصلة فيما بينهم، ولم يقطع يغمراسن علاقاته مع الموحدين آنذاك الخليفة الرشيد الذي حرص على تحسين علاقاته وبناء الثقة مع الزيانيين ليتواصل الود بين الطرفين اثناء تولي السلطان السعيد حكم دولة الموحدين [٤٩]، في حين كان التوتر يشوب علاقات يغمراسن مع جيرانه شرقاً وهم الحفصيون والسبب يعود الى محاولة كل

طرف ضم اكبر جزء ممكن من دولة الموحدين اليه، ولم تكن حدود الدولة الزيانية ذات استقرار دائم، بل كانت بين مد وجزر تبعاً للظروف السياسية والأخطار الخارجية، وكانت لا تتجاوز في بعض عهودها اسوار العاصمة تلمسان، وهذا ما حصل ايام الحصار المريني لها (٦٩٩-٧٠٦هـ/ ١٢٩٩- ١٣٠٧م)، واختلفت معالمها عندما هاجمها ابو الحسن المريني (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) الى ان اعاد احيائها من جديد ابي حمو موسى الثاني سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) [٥٠].

اما علاقة دولة بني الزيان مع مسلمي الأندلس فكانت علاقة اخوية متينة وكانت دولة بني الزيان تمد المضطهدين في الاندلس سنوياً بالمساعدات المالية والعسكرية، ويستقبلون الذين يلجؤون إليهم وييسرون لهم سبل العيش، وهذا ادى الى حقد الإسبان والبرتغاليين على المغرب وشن حملات على كل سواحله حيث كانت الاندلس في اخر ايامها، ووصلت سيطرة الإفرنج الى الجزائر واحتل الإسبان المرسى الكبير ومرسى وهران ووصلوا الى بني مزغنة، وجعلوا حصن امامها يشرف عليها ثم قصدوا تلمسان العاصمة لدولة بني الزيان وكانت دولتهم في حالة ضعف من مواجهة الصليبيون، حيث كانوا تحت قيادة راهب متعصب وكانت الحملة الاسبانية حملة نهب وانتقام من المسلمين وانتهاك، وشكلوا فرق قراصنة لأمساك الأندلسيين الفارين من جحيم الإسبان[٥١].

رابعاً- تدهور وانهيار الدولة الزيانية:

تعرضت دولة بني الزيان لأكثر من عشرين حالة تعرض وهجوم طيلة فترة حكمها لثلاث قرون، مما ادى الى انماء النزاع الداخلي بين ابناء الأسرة الحاكمة من اجل الوصول الى الحكم، فكان قتال الحفصيين لهم في عهد ابي فاس عبد العزيز اضعف الدولة، وكذلك ظهور دويلات على الساحل انفصلت عن قلب العاصمة تلمسان في نهاية حكم دولة بني الزيان الذي ساعد الى مجيء الغزو الصليبي الإسباني، وكانت اخبار غارات الإسبان على السواحل في المغرب العربي حديث الناس اجمعين في ذلك العهد "اي العهد العثماني"، ولم تكن دولة بني الزيان في اواخر عهدها تستطيع ان تجمع الأمة لقتال هؤلاء المستعمرين، وهكذا عاشت الجزائر فترة قاسية وامتد سلطان الفرنجة الى الجزائر احياناً، فكان هذا في مجمله ايذاناً بعهد جديد ينقذ الجزائر من معاناتها، وكاد المغرب العربي كله يسقط تحت تلك الضربات الفتاكة لولا تدخل القدرة، وحدثت المعجزة، واما هذه المعجزة فهي الاخوان عروج وخير الدين باباروس، ومحاولاتهما المباشرة للدفاع عن الساحل، ثم المحاولة التي لجأ اليها خير الدين بالإنضمام الى قوة الاتراك العثمانيين، التي كانت تمثل آنذاك وحدة الاسلام والمسلمين امام القوة المسيحية، وامتد بذلك سلطان العثمانيين للجزائر سنة (١٥١٨م) واستطاع العثمانيين ان يضعوا حد للهجمات الإسبانية [٥٢].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وله الحمد –سبحانه– الذي أنعم عليَّنا وتفضل بإتمام هذه الدراسة، ولا ندعي أننا قد أوفيناها حقها، ولكنه جهد المقل المقصر؛ فما كان فيه من حق وصواب فمن الله –عز وجل– وما كان فيه من خطأ وزلل فمنا ومن الشيطان، والله تعالى بريء منه ورسوله ﷺ.

نسأل الله –عز وجل– أن نكون في هذه الدراسة وغيرها مخلصًين لله سبحانه وتعالى، متبعًين لرسوله ﷺ. كما نسأله تبارك وتعالى أن ينفع به من كتبه وقرأه وسمعه إنه سميع مجيب.

نقف في خاتمة هذه الدراسة مع أهم وأبرز النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة وهي:

- مؤسس دولة بني الزيان يغمراسن بن زيان الذي كان له الدور الكبير في تنظيم دولته واتخذ لنفسه شارات الملك والسلطان.
- استعملت الوظائف السلطانية لأكفأ الرجال وافضلهم علماً وفقهاً واخلاقاً وتلقب السلاطين بألقاب عدة احدثتها الظروف الآتية في وقتها.
- كان الوزير صاحب اسمى مرتبة في جهاز الحكم بيد السلطان، واعتبر نائباً للسلطان في شؤون الحكم والحرب ومستشاره في جميع الأمور.
- تمثلت مهام الحاجب في الأمور التي تخص السلطان وداره.
- الكتابة احدى الوظائف السلطانية المهمة التي يتولاها صاحب القلم الأعلى وتتمثل مهامه في تحرير الرسائل السلطانية وعهوده ومعاهداته.
- مر نظام الوزارة بحالة من الضعف بسبب الظروف التي كانت تمر بها الدولة على عهد ابي تاشفين الأول.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) سورة هود: من الآية، ٨٨.

(٢) ابن خلدون، ابو زيد عبدالرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب، ط٢ (بيروت، ١٩٦٩م) ٢/ ١٢٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، ٧/ ٣١٨.

(٤) التنسي، محمد بن عبدالله بن عبد الجليل (ت، ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق: محمود بو عباد (الجزائر، ١٩٨٥م) ١٠٩؛ الميلي، مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث (الجزائر، د. ت) ٤٣٩.

(٥) ابن خلدون: العبر، ٧/ ١٠٦- ١٠٧؛ الوزان، حسن: صف افريقيا، ترجمة: محمد مجي، ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة (الرباط، ١٩٨٠م) ٧.

(٦) يحيى بن خلدون، أبو زكريا يحيى بن محمد (ت، ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبدالحميد حاجيات، (الجزائر، ١٩٨٠م) ١/ ١٩٨- ١٩٩.

(٧) شبانه، محمد كمال: الدويلات الاسلامية في المغرب، دار العلم العربي (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ١٢٨.

(٨) الوزان: وصف افريقيا، ٧- ٨.

(٩) عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري، من كبار القادة والولاة في صدر الإسلام. شهد فتح مصر، وجهه عمرو بن العاص ﷺ واليا إلى إفريقية سنة ٤٢هـ، باني مدينة القيروان، ولاه معاوية ﷺ إفريقية سنة ٥٠هـ، ويزيد بن معاوية واليا على المغرب سنة ٦٢هـ، قتل سنة ٦٣هـ بعد أن غزا السوس الأقصى، قتله كسيلة بن لمرم، وكان كسيلة نصرانيا. ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١ (بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م) ٣/ ١٠٧٥- ١٠٧٧؛ ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) ٤/ ٥٧؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢ م) ٤/ ٢٤١.

(١٠) ابن خلدون: العبر، ٧/ ٣٢٥.

(١١) المراكشي، محي الدين عبد الواحد (ت، ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م): المعجب في تلخيص اخبار المغرب، نشر: محمد سعيد، ومحمد العلمي، دار الاستفاقة (القاهرة، ١٩٦٣م) ٩٩.

(١٢) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أمير المسلمين، وملك الملثمين سلطان المغرب الأقصى، وباني مدينة مراكش، وأول من دعي بأمير المسلمين. ولد في صحراء

المغرب. وتولى إمارة البربر، وبايعه أشياخ المرابطين. فقوي أمره، واستولى على مدينة فاس، وغزا الأندلس فصالحه ملوكها على الطاعة له. وبنى مدينة مراكش سنة ٤٦٥هـ، وقاتل الفرنج بوقعة "الزلاقة" سنة ٤٧٩هـ، وبايعه من شهدها معه من ملوك الأندلس وأمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكا، وضرب السكة. ملك الجزيرة كلها، وشمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس، ويخطب لبني العباس، توفي بمراكش ٥٠٠ هـ. ينظر: ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس (بيروت، ١٩٦٨) ٧/ ١١٢ وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام، ٨/ ٢٢٢.

(١٣) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ١/ ١٩٨- ٢٠٠.

(14) Itinera in cultureldes, Almoravideset des Almohades .

(١٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٧/ ١١٧.

(١٦) شبانة: الدويلات الإسلامية، ١٣٢.

(١٧) ابن خلدون: العبر، ٧/ ١٠٦- ١٠٧.

(١٨) التنسي: تاريخ بن زيان، ١١٣.

(١٩) الميامي: تاريخ الجزائر، ٤٣٩- ٤٤٠.

(٢٠) التنسي: تاريخ بني زيان، ١١٤.

(٢١) ابن خلدون: العبر، ٧/ ١٠٥- ١٠٦.

(٢٢) شبانة: الدويلات الإسلامية، ١٢٩.

(٢٣) ابن خلدون: المقدمة، ٢٠٣.

(٢٤) ابن خلدون: المقدمة، ٢٢٢.

(٢٥) طعيمة، الجرف: نظرية الدولة والأسس العامة للتنظيم السياسي (القاهرة، ١٩٦٩م) ١/ ٧٣- ٧٤.

(٢٦) ابن خلدون: المقدمة، ٢٧١.

(٢٧) ابن خلدون: المقدمة، ٢٧١- ٢٧٢.

(٢٨) شبانة: الدويلات الإسلامية، ١٣١.

(٢٩) ابن خلدون: المقدمة، ٢٤٩- ٢٥٠.

(٣٠) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ١/ ١١.

(٣١) التلمساني، ابو حمو موسى بن يوسف الزياني (ت، ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م): واسطة السلوك في سياسة الملوك، تقديم عبد الرحمن عون، ومحمد الزاهي (تونس، ١٩٨٢م) ٢٤.

(٣٢) القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت، ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الاعشى في صناعة الانشاء (المؤسسة المصرية، د. ت) ٥/ ٤٨٦- ٤٨٧.

(٣٣) ابن خلدون: المقدمة، ٢٧١- ٢٧٢.

(٣٤) ابن خلدون: المقدمة، ٢٧٣.

(٣٥) ابن خلدون: المقدمة، ٢٧٧.

(٣٦) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ٢/ ٣٧.

(٣٧) قربة، صالح بن قربة: المسكوكات المغربية (الجزائر، ١٩٨٦م) ١٣.

(٣٨) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ١/ ١٥١.

(٣٩) ابن خلدون: المقدمة، ٢٧٧.

(٤٠) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ١/ ١٥١.

(٤١) ابن خلدون: المقدمة، ٢٧٨– ٢٧٩، ٢٨٢.

(٤٢) مجهول: الاستبصار في عجائب الامصار، ٢/ ١٧٦.

(٤٣) الدراجي، بوزياني: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية (الجزائر، ١٩٩٣م) ١٦٤.

(٤٤) خطاب، محمود شيت، قادة فتح بلاد المغرب، دار الفكر، ط٧ (دار الفكر، ١٤٠٤هـ) ٢٧.

(٤٥) ابن خلدون، المقدمة، ٣٠١– ٣٠٢.

(٤٦) خطاب: قادة فتح بلاد المغرب، ٣٠.

(٤٧) ابن خلدون: المقدمة، ٣٠٢.

(٤٨) خطاب: قادة فتح بلاد المغرب، ١٨٨.

(٤٩) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ١/ ١٧٧.

(٥٠) خطاب: قادة الفتح، ١/ ١٨٩.

(٥١) شبانة: الدويلات الإسلامية، ١٣٢.

(٥٢) شبانة: الدويلات الإسلامية، ١٣٢ وما بعدها.